

التحرير والتنوير

وقد استعمل النقص هنا مجازا في إبطال العهد بقريئة إضافته إلى عهد ا [] وهي استعارة من مخترعات القرآن بنيت على ما شاع في كلام العرب في تشبيه العهد وكل ما فيه وصل بالحبل وهو تشبيه شائع في كلامهم ومنه قول مالك بن النيهان الأنصاري للنبي A يوم بيعة العقبة " يا رسول ا [] إن بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها فنخشى إن أعزك ا [] وأظهرك أن ترجع إلى قومك " " يريد العهود التي كانت في الجاهلية بين قريش وبين الأوس والخزرج " . وكان الشائع في الكلام إطلاق لفظ القطع والصرم وما في معناهما على إبطال العهد أيضا في كلامهم . قال امرؤ القيس :

" وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجملي وقال لبيد :

أو لم تكن تدري نوار بأنني ... وصال عقد حبال جدامها وقال :

بل ما تذكر من نوار وقد نأت ... وتقطعت أسبابها ورامها وقال :

فاقطع لبانة من تعرض وصله ... فلشر واصل خلة صرامها ووجه اختيار استعارة النقص الذي

هو حل طيات الحبل إلى إبطال العهد أنها تمثيل لإبطال العهد رويدا رويدا وفي أزمنة

متكررة ومعالجة . والنقص أبلغ في الدلالة على الإبطال من القطع والصرم ونحوهما لأن في

النقص إفسادا لهياة الحبل وزوال رجاء عودها وأما القطع فهو تجزئة .

وفي النقص رمز إلى استعارة مكنية لأن النقص من روافد الحبل فاجتمع هنا استعارتان مكنية

وتصريحية وهذه الأخيرة تمثيلية وقد تقرر في علم البيان أن ما يرمز به للمشبه به المطروح

في المكنية قد يكون مستعملا في معنى حقيقي على طريقة التخيل وذلك حيث لا يكون للمشبه

المذكور في صورة المكنية رديف يمكن تشبيهه برديف المشبه به المطروح مثل إثبات الأظفار

للمنية في قولهم أظفار المنية وإثبات المخالب والنباب للكماة في قول أبي فراس الحمداني

:

فلما اشتدت الهيجاء كنا ... أشد مخالبا وأحد نابا وإثبات اليد للشمال في قول لبيد :

وغداة ريح قد كشفت وقرة ... إذ أصبحت بيد الشمال زمامها وقد يكون مستعملا في معنى

مجازي إذا كان للمشبه في المكنية رديف يمكن تشبيهه برديف المشبه به المضمحل نحو ينقضون

عهد ا [] وقد زدنا أنها تمثيلية أيضا والبلغ لا يفلت هاته الاستعارة مهما تأت له ولا يتكلف

لها مهما عسرت فليس الجواز المذكور في قريئة المكنية إلا جوازا في الجملة أي بالنظر إلى

اختلاف الأحوال .

وهذا الذي هو من روافد المشبه به في صورة المكنية وغيرها قد يقطع عن الربط بالمكنية

فيكون استعارة مستقلة " وذلك حيث لا تذكر معه لفظا يراد تشبيهه بمشبه به مضمّر " نحو أن تقول فلان ينقض ما أبرم . وقد يربط بالممكنية وذلك حيث يذكر معه شيء أريد تشبيهه بمشبه به مضمّر كما في الآية حيث ذكر النقص مع العهد . وقد يربط بمصرحة وذلك حيث يذكر مع لفظ المشبه به الذي الرادف من توابعه نحو قوله " إن بيننا وبين القوم خطا نحن قاطعوها " وحينئذ يكون ترشيحا للمجاز وهذه الاعتبارات متداخلة لا متضادة إذ قد يصح في الموضع اعتباران منها أو جميعها وإنما التقسيم بالنظر إلى ما ينظر إليه البليغ أول النظر . واعلم أن رديف المشبه به في الممكنية إذا اعتبر استعارة في ذاته قد يتوهم أن اعتباره ذلك ينافي كونه رمزا للمشبه به المضمّر كالنقص فإنه لما أريد به إبطال العهد لم يكن من روادف الحبل لكن لما كان إيذانه بالحبل سابقا عند سماع لفظه لسبق المعنى الحقيقي إلى ذهن السامع حتى يتأمل في القرينة كفى ذلك السبق دليلا ورمزا على المشبه به المضمّر فإذا حصل ذلك الرمز لم يضر فهم الاستعارة في ذلك اللفظ وأجاب عبد الحكيم بأن كونه رادفا بعد كونه استعارة بناء على أنه لما شبه به الرادف وسمي به صار رادفا إدعائيا وفيه تكلف .